التداخل بين الرِّسالة والقصيدة عند الكتّاب الفاطميين

الدكتور محمود عبد الرحيم صالح* **الدكتور إبراهيم عبد الرحمن النعانعة****

الملخص

يكشف هذا البحث عن ظاهرة جديرة للوقوف عندها والتأنّي في دراستها وتحليلها، وهي ميل الكتّاب الفاطميين إلى التقريب بين فنيّ الشعر والنثر، والمداخلة بينهما، وبيان مدى تأثير محفوظاتهم الأدبية – شعراً ونثراً – في نشأة هذه الظاهرة، لذلك سينهض البحث بالكشف عن ثلاثة أمور رئيسة، أوّلها: تحديد المصطلح وبدايات التداخل وبواكير هذه البدايات، وثانيها: بيان أنماط التداخل بين القصيدة والرسالة عند هؤلاء الكتّاب، أمَّا الأمر الثالث فيتمثل في موضوعات التداخل بين القصيدة والرسالة عند الكتّاب الفاطميين.

* قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة الحسين بن طلال- الأردن / معان

** قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب- جامعة الحسين بن طلال- الأردن / معان

المقدّمة

يمكن للدارسين وصفوة المثقّفين، الذين بينهم وبين الأدب الفاطمي أُلْفة، أن يلحظوا مَيْلَ الكتّاب الفاطميين إلى التقريب بين فنَّي الشعر والنثر، والمداخلة بينهما. فقد عُني هؤلاء الكتّاب بالشعر وبالنثر؛ ولعلّ منشأ هذه العناية هو كثرة محفوظاتهم من القصائد الشعرية والنصوص النثرية المتنوّعة ؛ وأنّ كثيراً منهم كان شاعراً كاتباً، أو كاتباً شاعراً، يتعاطى النظم فضلاً عن الكتابة، ويجمع بين الموهبة الشعرية وملكة الإبداع في النثر الفنّي.

ومن هنا فقد عمدوا إلى المداخلة بين الشعر والنثر، وأكثروا من النصوص المتداخلة، ونوّعوا فيها، فبرز التداخل في نتاجهم الفنّي حتّى صار يشكّل ظاهرةً بارزة في الأدب الفاطمي، تمخّضتْ عن إفراز شكلٍ أدبي جديد، تتداخل فيه القصيدة والرسالة، ويتمثل في رسالةٍ نثرية شعرية، أو قصيدة شعرية نثرية، أو ما يمكن أن نسمّيه – بطريقة النحت في اللغة – باسم "النصّ الشِّعْنثري".

وهذا البحث يتتبّع ظاهرة التداخل بين الرسالة والقصيدة، والتجارب الفريدة في التداخل بينهما عند الكتّاب الفاطميين من أمثال المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني (ت بعد 486 هـ)، والقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت 596 هـ)، وغيرهما من الأدباء الذين تخرّجوا في الديوان الفاطمي.

وقد قُسِّمَ البحث – بعد هذه المقدّمة – على ثلاثة مباحث: المبحث الأوّل في المصطلح وبدايات التداخل، وفيه عرض للمصطلح الذي أطلقه أسلافنا على التداخل بين القصيدة والرسالة ؛ وبادرة التداخل بين الشعر والنثر في

الأدب العربي؛ وبواكير ظاهرة التداخل بين القصيدة والرسالة قبل ظهورها عند الكتّاب الفاطميين.

المبحث الثاني: في أنماط التداخل بين القصيدة والرسالة عند الكتّاب الفاطميين، وفيه استعراض لهذه الأنماط، والأنساق المتنوّعة التي يشتمل عليها بعض الأنماط.

المبحث الثالث: في موضوعات التداخل بين القصيدة والرسالة عند الكتّاب الفاطميين، وفيه استعراض للموضوعات المألوفة في الشعر العربي منذ أقدم العصور، كالمدح والهجاء والغزل والوصف؛ والموضوعات المألوفة في الرسائل، كالتهاني والعتاب والاعتذار والتشوّق والتعزية والمواساة.

ثم تأتي خاتمة البحث في دواعي التداخل عند الكتّاب الفاطميين، وأسباب خفوت ظاهرة التداخل بعدهم.

ويأمل الباحثان أن يكون هذا البحث محفّزاً للدارسين على المزيد من الدراسات في الظواهر المتنوّعة في الأدب الفاطمي.

1- المصطلح وبدايات التداخل

أ- مصطلح التداخل بين القصيدة والرسالة عند القدماء:

على الرغم من كثرة النصوص القائمة على التداخل بين القصيدة والرسالة ؛ وعلى الرغم ممّا اشتهر به النقّاد العرب – عامة، والبلاغيّون منهم – خاصة، من ولع بالمصطلحات، فإنّهم لم يتصدَّوا لوضع مصطلحٍ للتعبير عن هذا التداخل، أو لتسمية النصوص المتداخلة به.

أمَّا العلماء الذين اهتمّوا بهذا الجنس الأدبي، فلم يتّفقوا على مصطلح واحد، وعبّر عنه كلٌّ منهم بطريقته الخاصّة، فمنهم مَنْ عبّر عنه بعبارة وصفيّة، مثل قول

مسلم بن محمود الشيزري: "فصول لابن أبي الشخباء، الفصل الأوّل منها، كلٌّ نصفِ سطرٍ منه نظم، والنصف الثاني

نثر"[1] وقوله في موضع آخر: " كلُّ سطر منه؛ النصف الأوّل نثر، والنصف الآخر نظم"[2]. ومنهم من عبّر عنه بمصطلح خاصّ، يختلف عن المصطلح الوارد عند غيره؛ فقد سمّاه أبو منصور الثعالبي (ت 429 هـ) باسم "المُرْدَف"، فقال في تقديم نصوص لأحد الأعلام الذين ترجم لهم:" ما أخرج من فصوله المُرْدفة بأبيات الشعر"[3].

واستعمل أبو إسحاق الحصري (ت 453 هـ) مصطلح "الرسالة الموشّحة"[4]؛ للدلالة على الرسالة التي يُودعها كاتبها شعراً من نظمه، لا على سبيل الاستشهاد بالشعر، ولا على سبيل التضمين، بل يكون الشعر متمّماً للمعاني التي يتألف منها مضمون الرسالة، أي أن كُلاًّ من الشعر والنثر يشكّل جزءاً من نسيج العمل الأدبي.

أمَّا أبو القاسم الكلاعي (المتوفّى بين سنتي 545-550هـ) فقد سمّاه "المُفَصَّل"، وخصَّص له فصلاً بعنوان "المُفَصَّل"، قال فيه: "سمّينا هذا

1 - الشيزري، مسلم بن محمود بن نعمة (من علماء القرن السابع): جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، مصورة دار الكتب المصرية، رقم 9223 / أدب (لوحة 2)، مصورة جامعة مؤتة (4/1).

2 - نفسه : مصورة دار الكتب المصرية (لوحة 50)، مصوّرة جامعة مؤتة (99/1) .

3 - الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ): يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، مطبعة الحنفي، دمشق (15/2-17) .

4 - الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 453 هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، نشرة زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة 4 (416/2).

النوع من البيان: "المُفَصّل"؛ لأنّه فُصّل فيه المنظوم بالمنثور، فجاء كالوشاح المُفَصَّل"[5].

وأمّا شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت 749 هـ) فقد سمّاه: توشيح القصيدة بالرسالة، وقال في ترجمته لبديع الزمان الهمذاني: "يُوشّح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم ومن النثر"[6].

ب- بادرة التداخل بين الشعر والنثر:

إذا بحثنا عن بدايات قديمة للتداخل بين الشعر والنثر، في الأدب العربي، فإنّ أوّل ما يمرّ بالخاطر، هو خطبة قسّ بن ساعدة الإيادي التي ألقاها في العصر الجاهلي، وقال فيها[7]:

أيّها الناس، اجتمعوا، واسمعوا، وعوا ؛ مَنْ عاشَ مات، ومَنْ ماتَ فات، وكلُّ ما هو آتٍ آت ؛ إنّ في السماء لَخَبَراً، وإنّ في الأرض لَعِبَراً: آياتٌ مُحكمات، ومطرٌ ونبات، ونجومٌ تَزْهَر، وبحارٌ تَزْخَر، وليلٌ داج، وسماءٌ ذاتُ أبراج.

مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أَرَضُوا فأقاموا، أم تُركوا فناموا ؟!

يا مَعْشَرَ إياد، أين ثَمودُ وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين الفراعنةُ الشداد؟

---

5 - الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (ت 545-550هـ): إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة 2، 1985م (ص 148).

6 - العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 749 هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (كُتّاب الإنشا شرقاً)، تحقيق: إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، أبو ظبي 2002م (69/12).

7 - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة (209/1).

فـــــي الـــــذاهبينَ الأوّلِيـــــــ نَ مـــن القـــرونِ لنـــا بَـــصائرْ

لمَّـــــا رأيْـــــتُ مَـــــوَارِداً للمـــوتِ، لـــيس لهـــا مَـــصادرْ

ورأيـــــتُ قـــــومي نَحْوَهـــــا تَمْـــضي الأصـــاغِرُ والأكـــابرْ

لا يرجـــــعُ الماضـــــي إلـــــيْ م يَ ولا مـــــن البـــــاقين غـــــابرْ

أيَقَنْـــــتُ أنّـــــي لا مَحـــــا لَـــةَ حيـــثُ صـــارَ القـــومُ صـــائرْ

هذه البادرة القديمة في الأدب العربي، تتـداخل فيهـا القـصيدة والخطبـة، ويـسهم فيها الشعر والنثر فـي تقـديم عمـل أدبـيٍّ موحّـد. ونقـول – دون تتبُّـع – إن الأجيال ظلّت تتناقل هذا النصَّ حتّـى انتهـى العـصر الجـاهلي؛ وحتّـى مـضت ثلاثة قرون من الإسلام، دون أن تـصل إلينـا نـصوص، يتـداخل فيهـا الـشعر والنثر على غراره. إلا إذا كانت هناك بـوادر أخـرى مـشابهة، قـد يفطـن لهـا غيرنا.

ج- بواكير التداخل بين القصيدة والرسالة:

ربّما كان الوزير المُهَلَّبيّ (أبو محمـد الحـسن بـن محمـد 291-352هـ) أوّل مَنْ فطن إلى استثمار التداخل بين الشعر والنثر في تقـديم عـدّة فـصول فـي رسائله، ومنها فصل يقول فيه[8]:

رأيتُه فصيحَ الإشارة، لطيف العبارة:

إذا اخْتَصَرَ المعنـى فـشربةُ حـائمٍ وإنْ رامَ إسهاباً أتى الفـيضُ بالمَـدِّ

8 - الثعالبي: يتيمة الدهر (15/2)، الكلاعي: إحكام صنعة الكلام: ص148.

وقد أورد له الثعالبي في يتيمة الدهر، والكلاعي في إحكام صنعة الكلام، بضعة عشر فصلاً من هذا القبيل[9]. يبدأ كل منها بعبارتين مسجوعتين غالباً – أو ثلاث عبارات نادراً – يليهما بيت من شعر المهلّبي نفسه، مرتبط بالنثر من الناحية المعنوية، مُباين له من الناحية اللفظية.

ولعلّه أحسّ هذا التباين، بين نثرٍ مؤتلفٍ بالسجع بين عباراته، وبيتٍ مفردٍ من الشعر، يفتقر إلى مثل هذا التآلف، فلجأ في بعض الفصول إلى نظم بيتٍ مُصَرَّع ؛ لإيجاد التآلف بين مصراعيه، كما هو في الفصل الآتي[10]:

قد نظرتُه، فرأيت جسماً مُعتدلاً، وفهماً مُشتعلاً،

ونَفْساً تفيضُ كفيضِ الغَمامْ وظَرْفاً يُناسب صَفْوَ المُدامْ

وبهذا قد أحدث تآلفاً بين نهايتي العبارتين النثريتين، وتآلفاً بين الشطرين من بيت الشعر.

وقدّم بديع الزمان الهمذاني (358-398هـ) تجربةً رائدة في التداخل بين القصيدة والرسالة؛ إذْ توخّى – في رسالة بعثها إلى أبي بكر الخوارزمي – أن يكون النصف الأوّل من كلّ سطرٍ نثراً، والنصف الثاني شعراً، وجاء فيها[11]:

9 - انظر المصدرين السابقين: اليتيمة 2/15-17، الإحكام: ص148-151.

10 - إحكام صنعة الكلام: ص148.

11 - الهمذاني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت 398هـ): كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، شرح: إبراهيم بن الأحدب الطرابلسي، دار التراث، بيروت (ص 128). الثعالبي: يتيمة الدهر (169/4). الحصري: زهر الآداب (511/2). الكلاعي: إحكام صنعة الكلام (ص154). العمري: مسالك الأبصار (74/12). البديعي، الشيخ يوسف الدمشقي (ت 1074هـ، أو في التي قبلها): الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقّا وعبده زيادة ومحمد شتا، دار المعارف بمصر 1964م (ص65-66).

أنا؛ لِقُربِ الأستاذ – أطـــالَ اللهُ بقـــاه كما طَرِبَ النَّشوانُ، مالـــتْ بـــه الخمـــرُ

ومـــــــن الارتيـــــــاح للقائـــــــه كما انـــتفض العـــصفور، بَلَّلَـــهُ القطـــرُ

ومـــــــن الامتـــــــزاج بولائـــــــه كما الْتَقَـــتِ الـــصهباءُ والبـــاردُ العَـــذْبُ

ومـــــــن الابتهـــــــاج بمـــــــرآه كما اهتزَّ تحت البارق الغـــصنُ الرطـــبُ

فكيـــف نـــشاط الأســـتاذ – ســـيّدي – لـــصديقٍ، طـــرأ إليـــه ممّـــا بـــين قَـــصَبَتي العـــراق وخراســـان، بـــل عَتَبتـــي نيـــسابور وجرجـــان؟ وكيـــف اهتـــزازه لضيفٍ

رَثِّ الـــشمائل مخلـــق الأثـــوابِ بكَرتْ عليـــه مُغيـــرةُ الأعـــراب ؟

وهو – أيَّده الله – وَليُّ إنعامه، بإنفاذ غُلامه، إلى مُستقرّي ؛ لأُفضيَ له بما عنـــدي – إن شاء الله.

نلحظ هنا، أنّ بديع الزمان قد بدأ النصّ بأربعة أسطر، أوّلُ كلٍّ منهـــا نثـــر، تـــأتلف عباراته بالسجع، وآخره شعر على وزن البحر الطويل. وهذا النمط هو من ابتداعه، لا نعلم أنّ أحداً سبقه إليه.

ثمّ جاء في النصّ نفسه، بنمطٍ آخر، يشبه النسق الثاني من النسقين اللـــذين جـــاء بهما الوزير المهلّبي؛ أي بعباراتٍ نثرية مسجوعة، يليها بيت شعرٍ مُـــصرَّع، يتحقّـــق التآلف في النثر عن طريق السجع بين: للقائه وبولائه، وبين: بقاه وبمرآه.

أخيراً، استعان بديع الزمان بشعر غيره؛ فالشطر الوارد في السطر الثاني هـــو عجز بيت لأبي صخر الهذلي أو لمجنون ليلى، أوّله: "وإنّي لتعروني لذكراك هـــزّة"،

والشطر الوارد في السطر الرابع هو عجز بيت للأقرع بن معاذ القشيري، أوّله: "وتأخذه عند المكارم هزّة " – كما ذكر إبراهيم صالح، محقّق الجزء الثاني عشر من مسالك الأبصار[12].

وبهذا أصبح أمام الأدباء الفاطميين نمطان من أنماط التداخل بين القصيدة والرسالة، فاحتذوهما، وعدّلوا فيهما، وأضافوا إليهما، واشتقّوا أنساقاً متنوّعة.

2- أنماط التداخل بين القصيدة والرسالة عند الكتّاب الفاطميين

النمط الأوّل:

في هذا النمط، يعمد الأديب إلى صياغة النصّ في سطور، بحيث يكون أوّل كلٍّ منها نثراً، وآخره شعراً، على نحو ما فعل بديع الزمان في الأسطر الأربعة الأولى في نصّه السابق. لكنّ الكتّاب الفاطميين لم يقفوا عند الأسطر الأولى، بل جعلوا النصَّ كُلّه على هذا النحو. ومن ذلك نصّ للمجيد العسقلاني (أبي عليّ الحسن بن محمد بن عبد الصمد بن أبي الشخباء (ت 486 هـ أو بعدها) قال فيه[13]:

وصلتْ منك يا مولاي رقعة كالروض يُنثر فيه سلكُ جواهرِ

وقفتُ على ما أودعتَهُ فيها من ألفاظٍ حَجَرتْ عن النوم المُتاح محاجري

12- مسالك الأبصار (74/12- الهامش، وانظر تخريج البيتين هناك). وكذلك فإنّ البيت الأخير محوّر من قول السريّ الرفّاء:

بكرتْ عليك مُغيرة الأعرابِ فاحفظ ثيابك يا أبا الخطّاب

السري الرفّاء، أبو الحسين السري بن أحمد الكندي الموصلي الرفاء (ت بعد 360هـ): ديوان السري الرفاء، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ/1991م (ص41).

13- الشيزري: جمهرة الإسلام، مصوّرة دار الكتب المصرية (لوحة 50) مصوّرة جامعة مؤتة (99/1-100).

فأمّا ذلك العتبُ الــذي تنبــو مــضاربه يثني ضريبةَ كــلّ عَــضْبٍ بــاترِ

فقد كذَّبَ أولئــك يــا مــولاي بَعــده صفحاتِ سالٍ عــن ودادك صــابرِ

لكنّنـــي تجرّعـــت مَريـــرَهُ إشـــفاقاً من نَقْــضِ وُدٍّ وانتكــاثِ ضــمائرِ

فلا عجبٌ ما زالــت الــصبابة علّتــي والذنبُ ذنبي فــي محــلّ الغــادرِ

ويظهر عجــزي فــي مُكافاتــك، وإنْ بسطتْ لــيَ الأيــامُ بــسطة قــادرِ

يستغرق النصّ اثنين وعشرين سطراً، كلّها على هذا النحو. وقد عمد المجيد بــن أبي الشخباء العسقلاني إلى المساواة بين النثر والشعر في الطول، وإخلاء النثــر مــن السجع، فجاء كأنّه شطر من الشعر لولا خلوّه من الوزن، فصار شكل النصّ مثل شكل القصيدة.

ومن هنا، فقد عمد القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني، ت 596هـــ) إلى تقصير العبارة النثرية أو إلى إطالتها، في النصوص التي كتبها من هــذا الــنمط. فمن ذلك نصّ لجأ فيه إلى تقصير العبارة النثرية، وقال فيه[14]:

14- ديوان القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني، ت 596 هــ)حققه الدكتور أحمد أحمــد بدوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر – دار المعرفة ومطبعة دار الكتاب العربــي، القاهرة، الطبعة الأولى 1961م (2/497-499). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هــ): التذكرة الصفدية، مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم 420/ أدب (14/30ظ-31و).

وَصَـــلَ كتـــابُ مـــولاي بعـــدما أَصاتَ المنـــادي للـــصلاة فأعتمـــا

فلمّـــــــا اســـــــتقرَّ لـــــــديّ تجلّى الذي من جانب البدر أظلمـــا

فقرأتُـــــــــــــــــــــــــــه بعينٍ إذا استمطرتُها أمطرتْ دَمـــا

وســـــــــــــــــــــــــألتُه فساءلتُ مصروفاً عن النطق أعجما

ولـــــــم يـــــــردّ جوابـــــــاً وماذا عليـــه لـــو أجـــاب المُتيّمـــا

وردّدتُـــــــــــه قـــــــــراءةً فَعُوجلـــتُ دونَ الحِلْـــم أن أتحلّمـــا

وحفظتُـــــــــــــــــــــــــه كما يحفظُ الحُرُّ الحـــديثَ المُكتّمـــا

وكرّرتُـــــــــــــــــــــــــه فمن حيثمـــا واجهتُـــه قـــد تبـــسّما

وقبّلتُـــــــــــــــــــــــــه فقبّلـــتُ دُرّاً فـــي العقـــود منظّمـــا

هذا النصّ يستغرق ثلاث صفحات، فهو يـــشترك مـــع ســـابقه – وكـــلّ نـــصوص هذا النمط – في الطول، ولكنه يختلف عنه فـــي قـــصر العبـــارات النثريـــة، حتّـــى إنه يكتفي بلفظ واحد أحياناً. ويختلف عنه أيضاً فـــي محاولـــة إيجـــاد تـــآلف لفظـــي بين العبارات النثرية (فقرأته، وسألته، وحفظتـــه، وكرّرتـــه، وقبّلتـــه) مـــن جهـــة، وبين النثر والشعر من جهـــةٍ أخـــرى؛ وذلـــك باختتـــام الجملـــة النثريـــة الأولـــى

بحرفٍ اتّخذه الأديب رويّاً للشعر؛ بغية ضبط إيقاع قوافيه. وقد فعل الكاتب هذا الشيء نفسه في أواخر النصّ، إذ قال:

فأمّا الشكر فإنّما أفضُّ به مسكاً عليه مُخَتَّما

ومن الأمثلة على إطالة الجملة النثرية، قوله:[15]

وَرَدَ كتابُ الحضرة، بعد أن عددتُ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ، لطلوعِ صَديعه

وقد عشتُ دهراً لا أعُدّ الليالیا

وبعد أن انتظرتُ القيظَ والشتاء لفصل ربيعه

فما للنوى ترمي بليلى المراميا

نلحظ أن إطالة الجمل النثرية، اقتضت الالتزام بقرينةٍ في أواخرها؛ لكي يقوم السجع بوظيفة الإشعار بمواضع انتهائها، وبدايات الأشطار الشعرية.

ويبدو أنّ هذا النمط قد حظي بالقبول لدى بعض الأدباء غير الفاطميين ؛ فكان ممّن كتب نصوصاً على غراره، أبو الفضل الميكالي (عُبيد الله بن أحمد، ت 436هـ)[16].

وأضاف الكتّاب الفاطميون إلى النسق السابق الذي يكون فيه الشعر على قافية موحّدة، نسقاً ثانياً يكون فيه الشعر متعدّد القوافي مع الالتزام بالتآلف بين العبارات النثرية، عن طريق تجانس القرينة في النثر بين كل سطرين متتابعين، مثال ذلك قول القاضي الفاضل[17]:

لا أَتّضعُ إليه حتّى يلين لضرس الماضغ الحجرُ

ولا أَقْصُرُ الهوى عليه حتّى يُقصّرَ عن غاياته القدَرُ

15- ديوان القاضي الفاضل 515/2، التذكرة الصفدية 29/14 ظ.

16- انظر: الثعالبي، يتيمة الدهر 251/4، الكلاعي: إحكام صنعة الكلام (ص 154).

17- ديوان القاضي الفاضل 518/2-519.

ولا أُحـــــــــالفُ قُرْبَـــــــــهَ حتّى يحـــالفَ بطـــنَ الراحـــة الـــشَّعَرُ

ولا أُصـــــــــالح قَلْبـــــــــه حتّى يُرى طائراً مـــن مائـــه الـــشّرَرُ

فكـــم تعلّلْـــتُ فيـــه بـــالمنى وذلك الـــصَّفْوُ قـــد أودى بـــه الكَـــدَرُ

وكم دفعتُ الأَسى فيه بالأُســى[18] ولا مَـــرَدَّ لمـــا يـــأتي بـــه القَـــدَرُ

وكـــم غالطـــتُ فيـــه الحقيقـــة والحـــقُّ أَبْلَـــجُ لا تَخْفَـــى لـــه غُـــرَرُ

وكم عاديتُ فيه النفْسَ الـــصديقة ؛ بـــصيرةُ الحُـــبّ ألاّ ينظـــرَ البَـــصَرُ

فكـــان فـــي إخفـــاء أســـراري كَمَنْ دَبَّ يستخفي وفي الرِّجْلِ جُلْجُـــلُ

وفـــي حفـــظ ودائـــعِ أَخبـــاري كما استخزنَ المـــاءَ المُـــرَوَّقَ مَنْهَـــلُ

لا جَرَمَ أَنّي دافعـــتُ بـــه الغـــرام كما دافَـــعَ الـــدَّيْنَ الغـــريمُ المُماطـــلُ

وذُدْتُ قلبي عن ذلك عن المـــرام كمـــا ذادَ ظمآنـــاً عـــن المـــاءِ ناهـــلُ

فَـــوَزْنُ هـــواه الآنَ فـــي عينـــي كما طارَ في ســـافي الريـــاحِ تُـــرابُ

وعُـــذْرُ غـــدرهِ فـــي مِـــسْمَعي كما طَنَّ في لُـــوح[19] الهَجيـــرِ ذُبـــابُ

وحاصـــلُ حُبّـــهِ فـــي قلبـــي كما لاحَ فـــي لَـــوْحِ القِفـــارِ سَـــرابُ

وقـــد رجعـــتُ عـــن مَحلِّـــهِ كمـــا رَجَـــعَ المَغْبـــونُ بَعْـــدَ بياعِـــهِ

وما كـــانَ مثلّـــي نـــازلاً بمثلـــه ولكنَّ دَهْـــراً ضـــاقَ بـــاعي بباعـــه

18- الأَسى – بفتح الهمزة – الحزن. وبضمّها – جمع أُسْوَةٍ وهي القُدْوَة.

19- اللُوح – بضمّ اللام – الهواء.

نلحظ هنا أن هذا النسق قائم على مراعاة السجع بين العبارتين النثريتين في كلّ سطرين متتابعين، ما عدا الأسطر الثلاثة (13-15). ومراعاة التنويع في القوافي؛ وذلك بتغيير حرف الروي، فقد وردت الأشطار الثمانية الأولى رائية، تبعتها أربعة أشطار لامية، ثمّ ثلاثة أشطار بائية، ثم شطران عينيّان. ونشير هنا إلى استخدام بحري البسيط في الأبيات الثمانية الأولى، والطويل في الأبيات التسعة الأخيرة.

أمَّا التكرار الوارد في هذا النصّ، فهو ليس شرطاً في هذا النسق؛ فتكرار (لا / ولا) في أوائل العبارات النثرية الأربع الأولى، وتكرار (فكم / وكم) في الأربع اللاحقة بها؛ وكذلك تكرار (حتى) في أوائل الأشطار الأربعة الأولى، وتكرار (كما) في الأشطار من (10-16)، كلّ ذلك خاصّ بهذا النصّ، خاضع لذوق الكاتب.

النمط الثاني

في هذا النمط، يورد الأديب عبارة نثرية قصيرة، ويُتبعها ببيتٍ شعريٍّ كامل، مثاله قول القاضي الفاضل في أحد النصوص[20]:

وَصلَ من الحضرة

كتابٌ به ماءُ الحياةِ ونَقْعةُ الـــــ حَيا فكأنّي إذ ظفرتُ بـه الخضْرُ

ووقف عبدُها منه على

عُقودٍ هي الدرُّ الذي أنت بحرهُ وذلك ما لا يدّعي مثلَهُ البحرُ

وهذا النمط لم يجد رواجاً عند الأدباء؛ لشدّة التباين في الطول بين العبارة النثرية والبيت الكامل. إلاّ أن القاضي الفاضل قد كتب عدّة نصوص من هذا القبيل[21]. وكتب

20 - ديوان القاضي الفاضل (2/506-507).

ركن الدين الوهراني (ت 575هـ) قطعة من هذا النمط، ولعلّه كتبها إرضاءً للقاضي الفاضل ؛ لأنّه أهدى هذه القطعة إليه[22]، فربّما أراد إرضاءه بترسُّم خطاه واتّباع أسلوبه.

النمط الثالث

يعمد فيه الأديب إلى كتابة عدة عبارات نثرية مُسَجَّعة، يلي ذلك بيت من الشعر، ثم عبارات نثرية أخرى يليها بيت من الشعر... وهكذا، يكتب عدّة فقرات، ويختم كلاً منها ببيت. وتكون الأبيات على وزن واحد وقافية واحدة. وقد يُبدأ النصّ بالشعر ويُختم به، على نحو ما جاء فيما كتبه المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني إلى صديقٍ، يعاتبه وقد جفاه، والنصّ هو[23]:

فو اللهِ لو خُيِّرتُ بينَ فراقكم وبين حِمامي قلتُ: يُدركُني نَحْبي

لكنّ الملل، أطال الله بقاء مولايَ الأجلّ، داعي الفساد، ومطيّة البعاد، وقائد العناد،

وجادعُ أنف الوصل بَعْدَ سُمُوّهِ وقاطعُ ما بين الأَخلاّء والصحبِ

ولمّا بدا من حضرته ما بَطَن، وذاعَ ما أعْلَنَ،

وصدَّ مللاً، لا صُدودَ تعتُّبٍ وأَعرضَ تيهاً عن ودادي وعن قُربي

رأيتُ المساعدة على رضاه، والانقياد بزمام هواه، وقلت: لعلّه وعساه،

---

21 - انظر: التذكرة الصفدية (29/14 و – 32 ظ).

22 - الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز (ت 575 هـ): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1387هـ/1968م (ص 213).

23 - الشيزري: جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام، نسخة جامعة مؤتة (205/1-206).

فيا ليت شعري أيّ جرمٍ جرمتُــه ؟ وما قصّتي فيما أتيتُ ؟ وما ذنبي ؟

فما زلتُ أجول في ميدان الفكر، وأُردّد بين الظنّ والذكر،
فلم أَرَ ذنبــاً غيــرَ فَــرْط محبّــةٍ وصَفْوِ ودادٍ، واعتكافٍ على الحُــبّ

ركب على المركب الصعب،
فقلتُ لنفسي: أُنظري أيــن مــذهبي فهذا وقد ملّكْتُه في الهــوى قلبــي

فلم يرضَ بالعذر، وجدَّ عزمُه على الهجر، وإنْ أَعْوَزَ عنكم الصبر،
فلا تطمعوا في رجعةٍ لــي إلــيكمُ ألا إنّ حسبي من محبّــتكم حــسبي

ويبدو أن هذا النمط لقي رواجاً في المغرب والأندلس، فقد كتب عليه أبــو محمــد عبد المجيد بن عبدون (ت 529 هــ)[24]، وكتب على غراره أبو القاسم الكلاعي نــصّاً في مدح أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشُفين (ت537 هــ)، وفصلاً في وصــف البحر، وجانباً من رسالته " الساجعة والغربيب"[25].

النمط الرابع

يأتي هذا النمط، عند الكُتّاب الفاطميين، على غرار الفصول التي وردت للوزير المهلّبي في موضع سابق، لكنّهم أضافوا إلى النسقين اللذين كتب بهما فصوله، أنــساقاً أخرى؛ فلم يكتفوا بعبارتين نثريّتين مسجوعتين، بل عمدوا إلى إطالة النثر، مثال ذلــك قول المجيد بن أبي الشخباء والعسقلاني[26]:

24 - انظر: الكلاعي: إحكام صنعة الكلام (ص 150-151).

25 - انظر: نفسه (ص 152، 153، 154-156).

26 - الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد الكاتب: خريدة القصر وجريدة العصر (باب في محاسن جماعة من أهل عسقلان) مخطوط مصوّر بدار الكتب المــصرية (رقــم 4255/ أدب) الجزء العاشر (ق 18 ظ).

أنا منذ فارقتُ جَنابه الكريم، مُنْقادٌ في عنان الدهر، بين قبيحٍ من فعلـــه وجميـــل، وخفيفٍ من وَطْئه وثقيل، ولا بدّ من الصبر على جَوْرأحكامه، والتجلُّدِ لنوائب أيّامه، فدونَ ما تشتهيه الـــنفسُ مَتْعَبـــةٌ إنّ اللآلي وراءَ الأخـــضرِ الطّـــامي

وفي نسقٍ آخر، عمدوا إلى مراعاة الاتّفاق بين القرينة والقافية في الفصل الواحد، وذلك بأن تكون السجعتان أو السجعات التي في آخر الجمل النثرية متّفقة مـــع قافيـــة الأبيات الشعرية، أي أن النثر يشارك الشعر في حرف الرويّ، سواء أكان آخر الفصل بيتاً واحداً أم بيتين أم أكثر.

وهذا النسق هو من ابتكار المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني، وتبعه فيه الفاطميون وغير الفاطميين، وقد فطن له أبو القاسم الكلاعي، وفطن إلى غايته، فقـــال[27]: " كـــان المجيد العسقلاني، كثيراً ما يضمّن في رسائله أشعاره وأشعار غيره، فكان إذا ضـــمّنَ أشعاره، يوافق بين قافيتها وبين السجع الذي قبلها ؛ ليُعلَمَ بذلك أنّ الشعر له. وكان إذا ضمّن أشعار غيره، خالَفَ بين السجع والقافية. وهذا حسنٌ، يجب أن يمتثله مَـــنْ أراد إحكام صنعة الكلام ".

فمن الفصول التي ختمها ببيت واحد، قوله[28]:

فارَقَني مولايَ وخلّفني حِلْفَ السُّهاد، مُفْترشاً شوكَ القتاد، أتذكّر أخلاقـــه تـــذكُّرَ الفقير غناه، وابن ذريحٍ[29] لُبْناه ، وامتدَّ عليَّ رُواقُ الليلة المذكورة، حتّى كأنّ نجومهـــا شُدّتْ بمناكب

أَبانِ[30]، وقَمَرها يسير في فَلَكِ كيوانِ[31]،

27 - الكلاعي: إحكام صنعة الكلام (ص 71-72).

28 - العمري: مسالك الأبصار (136/12).

29 - ابن ذريح: هو الشاعر قيس بن ذريح الكناني، شاعر أموي معروف.

يئستُ من صبحها حتّى التفتُّ إلى وجـــهِ الظـــلام أُعزّيـــهِ بفقـــدانِ

وممّا ختمه ببيتين قوله[32]:

لم يَصُدَّ عبدَها عن عمارة المجلس السامي إلاّ ما مُني بـــه مـــن جَـــوْر الزمـــان وتحامُله، ومُنازلة الحدثان ونَوازله، وما انتابه من النوائب حتّى ارتشفتْ بقيّـــة حالـــه، وقبضتْ مطارحَ آماله، وتركتْه مقصوصَ الجناحِ، خائبَ القداحِ،

كـــأنّ الـــدهر يغـــضبه دُنُـــوّي فليس ســـوى بعـــادي واطّراحـــي

وهـــا أنـــا مُـــرْتجٍ دُولَ الليـــالي وواعـــــدةَ الأمـــــاني بالنجـــــاحِ

وممّا خُتم بثلاثة أبيات، قول المعتمد العسقلاني (أبـــي الوفـــاء إســـماعيل بـــن الأنصاري – المتوفّى 482 هـــ أو بعدها):

أمَّا الرفْقة، فلمّا طالت الشقّة، هجروا السيرَ البَطيّ، واستوطنوا ظهور المطـــيّ، وذلَّلها جَذْبُ البُرى، وتعاطوا عليها كؤوس السُّرى، حتّى ثمـــل الـــساقي والـــشارب، ووضعوا الرؤوس على المناكب، وكأنها لم تُوصل بأعناق، وكأنما غُبقوا بكأسٍ دهاق. هنالك نقعتُ غُلّةً وكبدا، ومددتُ إلى الأماني يدا،

قبّلتُ مُبْتَسَماً عـــذْباً إذا احترقـــتْ أنفاسُ صـــبٍّ علـــى تقبيلـــه بَـــرَدا

يزيده النومُ طيباً، والـــسقاءُ نَقـــاً ويجمع المسكَ والـــصهباءَ والبـــردا

سَيْرٌ ونومٌ، ووصلٌ كـــان بينهمـــا فلن أذمّ النـــوى مـــن بَعـــدهِ أبـــدا

30 - أبان: اسم جبل مشهور في بلاد العرب. (5) كيوان: كوكب زحل.

31 - الأصفهاني: خريدة القصر – باب شعراء عسقلان، الجزء العاشر (ق 11-12).

32 - المصدر نفسه الجزء العاشر (ق 18 ظ).

وعلى الرغم من استحسان هذه الطريقة التي شرعها المجيد العسقلاني، لدى أغلب الكتّاب الفاطميين؛ وترحيب أبي القاسم الكلاعي بها، وثنائه عليها، وتوصيته باتِّباعها[33]، فقد كان بعض الأدباء الفاطميين يراعي الاتفاق بين القرينة والقافية في بعض النصوص التي يكون الشعر فيها من نظمه، ويراعي الاتفاق بينهما أيضاً مع أن الشعر من نظم غيره.

ومن هؤلاء الأدباء، علي بن منجب الصيرفي، فمن فصوله التي راعى فيها الاتفاق بين القرينة والقافية، والشعر من نظمه، الفصل الختامي من رسالته (لُمَح المُلَح) التي كتبها إلى أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي (ت 515 هـ) يستعطفه، وجاء فيه[34]:

وهذه الخدمة مشتملة من الأدب على لُمعة، وشاهدةٌ بقوّة في البلاغة وصنعة. وقد جعل المملوك ما اعتمده في تقريرها، وقَصَدَهُ من ترتيبها وتحريرها، سفيراً بين مقاصده وبين النُّجح، وسبيلاً إلى رغبة الأيّام إليه في السلم والصلح ؛ إذ كان السعدُ مضموناً للذين لاذوا برجاء مولانا وتحرَّموا، والحظُّ محتوماً للذين تبسَّطوا في تأميله وتحكّموا،

كُلُّ الورى داعٍ، وكلّ دعائهم ألاّ يُزيلَ اللهُ ظلَّك عنهمُ

أغنى نوالُك بعضَهم عن بعضهم كَيْلا يُرى في الأرض غيرَك مُنعمُ

فلذاك ألْسُنَهم لسانٌ واحدٌ يُثْني بما خَوّلْتَ، والدنيا فَمُ

33 - انظر: الكلاعي، إحكام صنعة الكلام (ص 71-72) إذ قال: "وهذا حسنٌ، يجب أن يمتثله مَنْ أراد إحكام صنعة الكلام ".

34 - الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب (ت 542هـ): الأفضليات، تحقيق: الدكتور وليد قصّاب والدكتور عبد العزيز المانع، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1403هـ/1982م (ص182-183).

ومن فصوله التي راعى فيها الاتّفاق بين القرينة والقافية مع أنّ الشعر من نظم غيره، فصل من رسالته (منائح القرائح) وقد جاء في[35]:

إنّ الآفاق قد غَدَتْ طامعةً باستيلائه عليها راجية، وأصبحت ملوكُها وافدةً إلى بابه العزيز لاجية، فعادت آمالهُم متخلّصةً من يد الإخفاق ناجية، وأضحت أيّامهم مُشرقةً وقد كانت داجية، وصارت أحوالُهم بمكارمه حاليةً ناميةً زاهيةً ؛ فقد زُهيَتْ به المملكةُ وأظهرتْ بهجتها وجمالها، واختالت في ملابس فخره فسحبتْ على السُّحب أذيالها،

ولم تَكُ تصلح إلاّ له ولم يَكُ يصلح إلاّ لها

ومع أنّ القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني قد كتب فصولاً على هذا النسق، فإنّه لم يلتزم بما التزم به المجيد العسقلاني ومَنْ تبعه من الأدباء، من مراعاة الاتّفاق بين السجع والقافية إذا كان الشعر له، والمخالفة بينهما إذا كان الشعر لغيره ؛ فقد كتب القاضي الفاضل فصولاً، راعى فيها الاتّفاق بين السجع والقافية، مع أنّ الشعر لغيره. فمّما ضمّنه شعراً لأبي العلاء المعري، قوله[36]:

هَبْ أن فلاناً عاقَهُ عن الكتب عائق، واختدَعَ ناظرَهُ – كَمَنْ هو كناظره – عَيْشٌ رائق، فما الذي عَرضَ لمولاي حتّى صار جوهر وُدّه عَرَضا، وجعل قلبي لسهام إعراضه غَرَضا،

بي منه ما لو بَدا للشمس ما طَلَعتْ من الكآبة، أو للبرق ما وَمَضا

35 - الصيرفي: الأفضليّات (ص 188). و بيت الشعر هنا لأبي العتاهية.

36 - العمري: مسالك الأبصار (195/12)، وبيت أبي العلاء في (سقط الزند)، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر 1383هـ / 1963م (ص 208). ورواية البيت فيه:

بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

ومماّ ضمّنه شعراً للشاعر الفاطمي ظافر الحدّاد، قوله[37]:

أَرغبُ إليه، لا زالت الرغباتُ إليه، وأسألُه لا جَثَمَ السؤالُ إلاّ لديه، أن يُلاطف بكتابه قلبي، ويُمثّل بمثالهِ أيّام قُربي،

واللهِ لـــــــــولا أنّنـــــــــي أرجـــو اللقـــا لقـــضيتُ نحبـــي

هـــــذا ومـــــا فـــــارقتكم لكنّنـــــي فارقـــــتُ قلبـــــي

النمط الخامس

يُراعى في هذا النمط، التماثُل التامّ بين القرينة والقافية في النصّ كلّـــه ؛ فيكـــون السجع في نهايات جميع الجُمل النثرية موافقاً للقافية في نهايـــات أبيـــات الـــشعر. ولا تُراعى في هذا النمط المساواة أو المقاربة بين الشعر والنثر، فقد يكون الشعر بيتـــاً أو بيتين أو أبياتاً عديدة.

وهذا النمط هو من مُحْدَثات المجيد بن أبي الشخباء[38]، وقد تبعه فيه غيـــره مـــن الأدباء الفاطميين، ومنهم أبو الفتيان مفضّل بن حسن بن خـــضر، الـــذي كتـــب هـــذا الفصل[39].

37 - مسالك الأبصار (200/12-201). والبيتان في ديوان ظافر الحدّاد، تحقيق: الـــدكتور حـــسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة 1969م (ص 35).

38 - انظر: الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام (ت 542هـــ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: الدكتور إحسان عبّاس، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس 1981م (القسم الرابـــع، المجلّـــد الثاني، ص640).

39 - الشنتريني: الذخيرة (616/2/4).

أطال اللهُ بقاء الحضرة السامية، تجبرُ من كسر الزمان مَهيضا، وتلــزم مــسنوناً للمكارم ومفروضاً، حتّى يصبح عِقْدُ الكواكبِ رَفيــضا[40]، وكــفُّ المَقــادر مكفوفــاً مقبوضاً،

وتُطْلِــعَ للعــافينَ فــي فحمــة الــدجى بَــوارقَ جــودٍ تــستطيرُ وَميــضا

وتُودعَ جأشَ الــدهر عزمَــيْ مُــشَمِّرٍ يفــلُّ صــحيحاً أو يُبِــلُّ مريــضا

سُطىً تُــسعر الآفــاق نــاراً، ورأفــةٌ تــردُّ هــشيم المكرمــات أريــضا[41]

ومقــدرةٌ لــو زاحــمَ الأُفْــقُ جيــشَها لغــودر مــسدودَ اللهــاة جَريــضاً[42]

شملتَ الورى – يا بنَ المحسّن – مُسْدياً صــنائعَ يبعــثن الكــسيرَ نَهيــضا

وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني أكثر الأدباء تعلُّقاً بهذا الــنمط، فقــد أكثر من النصوص التي كتبها عليه، ونوّع في أنساقه ؛ فاختتم العديد مــن الفــصول ببيت واحد أو بيتين، فكان النثر فيها أكثر من الشعر. وفي بعض الفصول كان الشعر أطول من النثر – أي إنَّ عدد الأبيات أكثر من عدد الجمل النثرية، وفي بعضها راعى المساواة بين الشعر والنثر[43].

النمط السادس

لم يكتفِ الأدباء، الذين عُنوا بالتداخل بين الشعر والنثر، بفصولٍ مفردة، بل كتبــوا رسائل متداخلة، يشتمل كلٌّ منها على أكثر من فصل واحد، ويراوح عدد الفصول في

40 - الرفيض: إذا تقصّد وتكسّر.

41 - الأريض: خليق للخير متواضع.

42 - الجريض: الغَصَصُ وتَبَلُّعُ الريق.

43 - انظر: العمري: مسالك الأبصار (12/190-201، 204-205).

الرسائل التي اطّلعنا عليها، بين فصلين اثنين إلى ثمانية فصول، يتألّف كلّ منهـا مـن جمل نثرية، يليها

بيت من الشعر أو بيتان أو عدّة أبيات[44] وهذه الفصول من الأنماط التي مـرّت بنـا ، ولعلّ كثيراً ممّا مرّ، إنما هو مُجتزأ من رسائل طويلة مركّبة من عدّة فصول.

ومن أمثلة هذا النمط، نصّ طويل جدّاً للقاضي أمير الدولة عبد الله بن أحمد بن خليل العسقلاني (من أدباء القرن الخامس الهجري)، أورد منه ابن بسّام في الـذخيرة ستّة فصول،

بعنوان: " فصول من نثره مع ما ينخرط في سلكها من شعره"[45] وهو أطول من ذلك، وهذه هي الفصول الثلاثة الأولى منه:

أطال اللهُ بقاء الحضرة العالية لغرائبِ مجدٍ تبتدعُها، وفرائض جـودٍ تَـشرعها، وحوادثِ أيّامٍ تُذلَّل صعابُها، ومُستأنفِ سعودٍ يُطْرَقُ جنابُها، وأدامَ أيّامها للدهر تمـائمُ، وفي المجد غمائمُ:

غُرَرٌ مـن الأيّـام يُوضـحُ فَجْرهـا والـدهرُ فـي ظُلَـمِ النوائـبِ قـاتمُ

كم صَرّمتْ عنّي حوادث لـم تكـن مُنجابـةً لـولا الأجـلُّ الـصارم[46]

ملـكٌ تَملّكـه النـدى وتجمّعـتْ فـي راحتيـه غمـائمٌ وسَـمائمُ

---

44 - انظر: الشنتريني: الذخيرة، القسم الرابـع 2/618-621، 640-646، 657-659. الحمـوي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ): معجم الأدباء، نشره أحمد رفـاعي، مطبوعـات دار المأمون بالقاهرة (9/154-158، 168-184).

45 - الشنتريني: الذخيرة، القسم الرابع 2/618-621.

46 - المقصود بالأجلّ الصارم هو صارم الدولة بن معروف، وهو والي عسقلان في عهد المستنصر بالله الفاطمي.

فالروضُ يُجدب، وهو غيثٌ مُمرعٌ[47] والغيثُ يُقلع، وهو غيثٌ دائمُ

وشتان ما بينهما ؛ تلك سحائب قد يُخلف بارقُها، وتُحْذَر صواعِقُها، وروضٌ يجفُّ نباته، وتصوَّح زهراتُه، ومكارم الحضرة العالية تزيد جِدّةً على التكرار، وتُماثل الفلك الدوّار، وهي تُباري الشمس نهارا، وتزور مَزارَ الطيف سرارا:

مِنَنٌ بعثنَ أَهلّةً مستورةً فطلعنَ في فَلَكِ العُلا أقمارا

ومَواهبٌ ومناقبٌ ومناهبٌ رَفَعتْ له فوقَ السماك منارا

ولمّا كانت الأوقات الشريفة موسومةً بثناءٍ يُسمع، ومرسومةً بدعاءٍ يُرفع، وأَهلَّتْ هذه الأشهُرُ المكرمة، وَجَبَ على مَنْ حضر، بل كافّة مَنْ يضمُّه الثغر، إخلاصُ الدعاء للحضرة العالية، بأن يمدَّ الله عليها ظلالَهُ المُسدلة، ويُديم لهم ما شملهم من تمام المَعْدلة، وأن يُسْعِدَ أنحاءها في طاعة إمامها، ويصرفَ أعداءها في حكم حسامها، ويثبتَ لها من رأس سلطانه ما تستوفي به أقسام الفخر جميعا، ويزيد لها أحداث الدهر خُضوعاً:

فلقد خدمتَ بهمّةٍ لا ترتضي إلاّ سَمِيَّكَ صاحباً وضَجيعا[48]

والجيشُ أَيْقَنَ حين عادَ بأنّه أَلْفى بربعكَ مَعْقِلاً وربيعاً

وَرَدوا نَميراً من يمينك رَيّقاً وثَرى محلٍّ في ذراك منيعا

وسهرتَ دون هُجوعهم بعزائمٍ تقضي، وطرْفٍ لا يذوقُ هجوعا

هذا وكم من مأزقٍ مزّقْتَه بيدٍ تَفيضُ مكارماً ونَجيعا

47 - الغيث الممرع: المطر الغزير، تخضرُّ بسببه الأرض وتخصب وتُعْشِب.

48 - المقصود بقوله: (سَميّك) هو السيف ؛ فالممدوح صارم الدولة، والصارم هو السيف.

النمط السابع:

دأب الكُتّاب الفاطميون في تقديم النثر على الشعر، في الأنماط السابقة، باستثناء النسق الثاني من النمط الثالث، الذي رأينا مثالاً منه عند الحديث عنه.

وهذا النمط السابع، يتقدّم فيه الشعر على النثر، وغالباً ما يكون النصّ مؤلّفاً من فصلٍ واحد، يشتمل على الشعر ثمّ النثر، ولا يراعى فيهما المماثلة بين قافية الأبيات الشعرية وقرينة السجع النثري.

وغالباً ما يكون الفصل مختصراً، وفيه تعادل بين الشعر والنثر، أي إنَّهما متقاربان في الطول، كما جاء في هذا النصّ للقاضي أمير الدولة عبد الله بن أحمد بن خليل[49].

لقد عجبتْ أيّامُنا حين أبصرتْ بها أَروعاً، زينتْ بحسن علائهِ
إذا سَهِكتْ[50] أعطافُهنّ تَضوّعتْ بِمِسْكَيْنِ من أفعاله وثنائهِ

هذا الشهرُ – أَدام الله تمكين الحضرة العالية – مُضاهٍ لها في شرف النسب، والطهارة من الريب، والله يكرّر عليها مجازهُ ما ارتقبتْ فيه ليلةُ القدر، وانتشر في السماء شُعاعُ البدر، في عزٍّ تسكنُ به الخطوبُ العَرِمة، وتنتقضُ معه الأحداث المُبرمة.

وقد يلجأ الكاتب إلى الإسهاب في النثر وتقصير الشعر، كما جاء في النصّ الآتي للقاضي جلال الدولة بن عمّار (ت 487هـ)[51].

وافى كتابُكَ مطويّاً على نُزَه تُقسّم الحسنَ بين السمع والبصر

49 - الشنتريني: الذخيرة – القسم الرابع 621/2.
50 - سهكت: حرّكت،سهكت الريح أي مرّت مرّاً شديداً.
51 - نفسه – القسم الرابع 626/2.

جَزْلُ المعاني، رقيقُ اللفـظِ مُونقـهُ كالماء يخرج ينبوعـاً مـن الحجـر

وصل كتابك يوم عيد النحر فكان عيداً ثانياً، وصادف أُنسي واهيا، فكان له مسنداً بانياً، فارتحتُ له ارتياح الروض للمطر، ولم أَملَّ بتكرير قراءته، وهل تملُّ عينٌ مـن النظر؟ فكم من معنىً بديع، ولفظٍ مُحكمٍ صَنيع، وبراعةٍ أتى بها قلمُه شَرعاً، وبلاغـةٍ جاش بها بحرُه طبعاً، وليس بمُنكرٍ سبقُ الجواد، ولا بمبتدعٍ جَوْدُ العِهاد[52]؛ أمَّا الـنظمُ فَنَظَمَ صفاتِ الإحسان، واستدعى نَوافجَ الاستحسان ؛ وأمّا النثرُ فـأبهى مـن منثـور الزهر، وأغلى قدْراً من الدُّرّ. ولقد هَزّتْني إلى مولاي لَواعجُ شوقٍ تالد، وبواعثُ وجدٍ خالد، ودَواعي أسفٍ مُتَضرّمٍ، لم يُخْلِقِ البُعْدُ جديدهُ، ولا أَذْوى طولُ العهد عُهودَه، ولا أَنسى تقلّب الأحوال جهوده، ولا نَقَضَ مرورُ الأيّام مَرائره[53]،ولا كدّرَ تكـدُّرُ العـيش سرائره.

وقـد يلجأ الكاتب إلـى الإسهاب في الشعر وتقصير النثر، كما جاء فـي هـذا النصّ للمجيد بن أبي الشخباء العسقلاني[54].

لقد أسعد الرحمنُ مَـنْ بـات ثانيـاً إليـكَ عِنـانَيْ رغبـةٍ وثنـاءِ

إذا ما الحيا جاراك في حَلْبـة النـدى رمـى فـوقَ فَوْدَيْـةِ قنـاعَ حيـاءِ

وما يتـساوى قَـطُّ بحـرٌ وجـدولٌ ولا كُـلُّ أعـضاء الفتـى بـسواءِ

وأنت سماءُ المُلْـك، وابنـك شمـسُه وهل نُظرت شمسٌ بغيـرِ سـماء ؟

52 - العِهاد: الحديثة من الأمطار، وضعيف مطر الوسمي وركاكه.

53 - المرائر: الحبال المفتولة على أكثر من طاق، واحدها مريرٌ ومريرة.

54 - الشنتريني / الذخيرة – القسم الرابع 647/2.

إذا لم تُحــطْ نظمــاً ونثــراً بمدحــهِ فمــا حيلــةُ الكُتّــاب والــشعراءِ ؟

فككــتَ إســاري مُنعمــاً وتركتنــي لآلائــك الحــسنى مــن الأُســراءِ

والذي جعل الأرض بساطاً[55] يبسطُ قدرها في الآفاق، ويجعل أيّامها ينــابيع الأرزاق، حتّى لا ينطق بسوى شكرها لسان، ولا يُرى لغيرها على أحدٍ إحسان.

وقد يلجأ الكاتب إلى الإسهاب في الشعر وفي النثر معاً، مثال ذلك نصٌّ للمجيد بن أبي الشخباء، يتألّف من أربعة عشر بيتاً من الشعر، وعشرة أسطر من النثر[56].

3- موضوعات التداخل بين القصيدة والرسالة عند الكُتّاب الفاطميين

إن الموضوعات التي تطرّق إليها الأدباء الفاطميون في النصوص المتداخلــة بين القصيدة والرسالة، راوحت ما بين الموضوعات المألوفة في الشعر العربــي فــي مختلف العصور، والموضوعات المألوفة في الرسائل الإخوانية؛ فقــد اشــتملت هــذه النصوص على موضوعات شعرية تقليدية، مثل المدح، والهجاء، والوصف، والغزل؛ وعلى موضوعات إخوانية، مثل التهاني، والعتاب، والاعتذار، والتــشوّق، والتعزيــة والمواساة، والنصح والإرشاد.

الموضوعات الشعرية التقليدية

يأتي المدح في طليعة الموضوعات الشعرية التقليدية التي تطرّق إليهــا الكُتّــاب الفاطميون، ولم يكن هؤلاء الأدباء يكتبونه لإنشاده بين يــدي الممــدوح، بــل كــانوا

55 - في قوله: " والذي جعل الأرض بساطاً ": الواو للقَسم – أي إنَّه يحلف في النثر على صدق مــا جاء في الشعر.

56 - انظر: الأصفهاني: الخريدة – باب شعراء عسقلان / الجزء العاشر (ق 16 و). الــشنتريني: الذخيرة – القسم الرابع 2/649-651.

يرسلونه إليه ليقرأه ؛ أمَّا لعدم وجود فرصة لإنشاده في مجلس ؛ وإما لوجود جفوةٍ بين الممدوح والكاتب – كما حدث لعلي بن منجب الصيرفي عندما نقم عليه الأفضل بن بدر الجمالي فجفاه وطرده من ديوان الإنشاء، فكتب إليه ابن منجب رسالة العفو أو استنزال الرحمة وغيرها من الرسائل في كتاب الأفضليّات[57].

وأغلب الذين خصّهم الكُتّاب بالمدح، هم من رجال الدولة الفاطمية، وفي مقدّمتهم الأفضل بن بدر أمير الجيوش ووزير الخليفة المستنصر الفاطمي (من سنة 487هـ إلى سنة 515هـ)[58]، وصارم الدولة بن مُعْرَف أو معروف والي عسقلان في خلافة المستنصر[59].

وقد دأب الأدباء الفاطميون في استهلال المدح بالدعاء للممدوح بطول البقاء، وذلك باستعمال عبارة مثل: " أطال الله بقاء الحضرة العالية " أو السامية أو الصارميّة أو الأفضليّة، متبوعةً بذكر ظاهرةٍ كونيةٍ دائمة، وأفعالٍ تقوم بها الحضرة، وآمالٍ تُعْقَدُ عليها[60].

فمن ذلك، الفصل الأوّل من نصٍّ مركّب من خمسة فصول للمجيد بن أبي الشخباء العسقلاني، في مدح صارم الدولة بن معروف، جاء فيه[61]:

أطال الله بقاء الحضرة الصارميّة، يجري القدرُ على حسب أهويتها، ويُعقد الظفرُ بعزائم ألويتها، ويُحلّى بذكرها ترائبُ الأيّام العاطلة، ويُنْجَز بكرمها عِداتُ الحظوظ

57 - انظر: الصيرفي، الأفضليات: صفحة د، 3، 31، 99، 185، 239، 285.

58 - انظر الهامش السابق، وانظر: الأفضليات: ص182-183.

59 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/619-620، 643-644، 645-646.

60 - انظر: الشيزري، جمهرة الإسلام (مصوّرة جامعة مؤتة) 1/99-101 مخطوطة دار الكتب المصرية (لوحة 50).

61 - الحموي: معجم الأدباء 9/175-176.

المُماطلة، ما أَصْحَبَ الحصان الجامحُ، وأضاءَ السِّماكُ الرامحُ، وعافت المـــاءَ الإبـــلُ الطوامحُ،

وما سَحبتْ في مفرق الأرض ذيلهـــا خَوافـــقُ ريـــحٍ للـــسحابِ لَـــواقحُ

إذا رفضَ الناسُ المـــديحَ، وطلّقـــوا بناتِ العُـــلا، زُفَّـــتْ إليـــه المـــدائحُ

وإلى جانب الممدوح، قد يتطرّق الأديب الفاطمي إلى مدح ابنه[62]، أو إلى مـــدح أقاربه، والثناء على نسبه، كما جاء في هذا الفصل لأمير الدولة عبد الله بـــن أحمـــد العسقلاني[63]:

الحمد لله الذي جَمعَ للحـــضرة العاليـــة شـــرائطَ الـــسؤدد، وخـــصَّها بالمجـــد الموطّد، والنسبِ إلى أعلى خِنْدِف عمـــاداً، وأوراهـــا فـــي موقـــف الفخـــر زنـــاداً، وأَرومةِ الرسالة، وجرثومةِ الخلافة، إليها انتزع هاشـــم، وعنهـــا أُخـــذت المكـــارم، فبعبد مناف بن النضر بن كنانة ذُؤابةُ الفخر:

هنالـــك أبنـــاءُ الـــوغى وحُماتُهـــا وثَمّ العطاءُ الغَمْـــرُ والعَـــدَدُ الـــدثرُ

لهـــم أوجـــهٌ زُهْـــرٌ وأنديـــةٌ خُـــضر وألويـــةٌ حُمـــر وخَطّيّـــةٌ سُـــمر

وقد يتطرّق الأديب إلى الدولـــة الفاطميـــة التـــي أحـــسنت اختيـــار الممـــدوح، وشهدت له بالكفاءة[64]، والتي أصبحت خلافتها بجهـــود الممـــدوح مـــشرقة بهيجـــة

62 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/647-648.

63 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 4/2/419-420

64 - انظر: الحموي، معجم الأدباء 9/181-182.

كما جاء في الفصل الآتي للمجيد بن أبي الشخباء العسقلاني في مدح الأفضل ابن بدر أمير الجيوش ووزير الخليفة المستنصر الفاطمي[65]:

يا لها نعمةً عدلتْ بها أحكامُ الزمان الجائرة، واهتدتْ ركائبُ الآمال الحائرة، وأصبح المُلْكُ المُستنصريُّ سائلَ الغرّة، ضاحكَ الأَسِرّة، والحضرةُ قد تمكّنتْ في خطابها، وما نَزعتْ بُرْدَ شبابها، وامتدّتْ – بعدَ القُلوص – أفياؤها، وأضاءت في ظُلمات الخُطوب آناؤها،

واللهُ أكرمُ أن يعذّب مُهجةً غُذيتْ بأخلاط العُلا أعضاؤها

فإذا طَمَتْ جِسمُ الخُطوب عَرامةً أَرْبى على فيض الحياءِ حِباؤها

لو كان ينكرُ مُلكها رُتَبَ العُلا أَحدٌ لكان شهودَها أعداؤها

ثابتْ بكَ الأيامُ عن جهلاتها وتوقّرتْ من أهلها سُفهاؤها

وبعدل حكمك زال عنها ظلمُها وبنور مجدك أشرقتْ ظَلْماؤها

نارُ اعتزامك ما يبوخُ ذَكاؤها وسماءُ عزّك ما تغيب ذُكاؤها

وعِراصُ فضلك لم تضق أرجاؤها وعُفاةُ جودك ما يخيب رجاؤها

ولعلّنا نلحظ أنّ صفات المدح ومعانيه، هي نفسها الصفات والمعاني المألوفة في الشعر العربي، كالعُلا، والمجد، والشجاعة، والكرم، والجود،

65 - الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 641/2.

والعدل، وغير ذلك من الصفات والمعاني التي تداولها الشعراء العرب منذ أقدم العصور الأدبية.

والجديد في هذا الأمر عند الأدباء الفاطميين، هو طريقة عرضها ؛ بمراعاة التآلف بين النثر والشعر؛ وبتكثيف الإيحاء السمعي – كما جاء في البيتين الأخيرين من النصّ السابق؛ وبتكلّف بعض الأمور الأخرى، مثل كتابة نصٍّ مبنيٍّ على حروف غير مُعجمة – كما جاء في النصّ الآتي للمجيد بن أبي الشخباء العسقلاني في مدح صارم الدولة بن معروف والي عسقلان في أيام المستنصر الفاطمي[66].

حَرَسَ اللهُ مدّة أيّام سيّد الرؤساء، وواحد السؤدد والعلاء، ومحلّ الآمال، ومهدر دماء الأموال، كمال المُلك وصارمه، وطارد المحل وحاسمه. وسعَ كلّ أحدٍ كرمُه، ومُهّد لكلّ محرومٍ حَرَمُه. وحمّل روحه ما آد، وعدّل حكم الدهر لمّا ساد، وملّكه عُهدةَ الأحرار، عطاءٌ له مدرار، مُلحَّةٌ عِهادُه، ورواءٌ أطوادُه ووِهادُه. وعصرُه – أدام الله سموَّه وعمره – عَدَلَ المسوَّد للمسود، وأصلح الحاسد للمحسود، وحلاّه العدلُ ورَسَمه، وعَصَمه اللهُ ممّا وَسَمه. محمدٌ وآله – رحمهم الله – أولو الهمم، وسادة الأمم، طهر مولدُهم، وراعَ العدوَّ عددُهم، وأعادوا ملّة السماح وأعملوا الصوارمَ وسُمْرَ الرماح. لؤُمَ الدهرُ وكرموا، وأعطوا المالَ وما حرموا.

66 - الشيزري: جمهرة الإسلام – مصوّرة جامعة مؤتة (1/508-509)، مخطوطة دار الكتب المصرية (لوحة 55). وينبغي التنبيه على أمرين: الأول، أن الجملة الأولى تشتمل على كلمتين معجمتين (أيام سيد)، وهي جملة دُعائية، لعلّها غير داخلة في شرط بناء النصّ على حروف غير معجمة ؛ والأمر الثاني أن تاء التأنيث التي تتحوّل هاءً غير داخلة في الشرط المذكور.

كم ردع اللهُ سعده مُلمّاً مهُولاً، وأَحْصَدَ للمصلحة مَرَساً[67] محلولا، وكم عدوٍّ رحمه[68]، عدا طَوْرَهُ وأكرمه، وحُرٍّ رماه الله وأصماه، وعادَ – أدام الله سمَّوه – وحَماه، ولا امتدّ لسمعه لأمرٍ ملاما، ولا حلّل حكمه حراما،

هو صارم الآراء أَوْحَدُ عصره ... مَلَكَ العلاءَ وأَعدمَ الإعداما

ومُمدَّحٌ أعلى الإلهُ محلّه ... لمّا رآهُ للكرام إماما

ما آدَ أمرٌ مُلكه وأهمّهُ ... إلاّ وسلَّ الصارمَ الصمصاما

حسّامُ أدواء العُداة مصمماً ... ما كُلُّ ما سلَّ الملوكُ حُساما

ساسَ الأمورَ صرامةً ومكارماً ... وأزال حكماً علّمَ الأحكاما

ورأوه – والأسلُ الطوالُ عواملُ - ... أسداً أحلَّ دَمَ الكُماةِ هُماما

ملكٌ سما هماماً، وعمَّ مروءةً ... وحمى سروحاً للعُلا وسواما

طمعَ العُداةُ وأمّلوا إدراكه ... واللهُ ألهمها له إلهاما

وأدامَ طولَ الدهر عمر سعودهِ ... ما لاحَ رُمْحٌ للسماك وداما

وبهذا التكلُّف، أدخل الكُتّاب الفاطميون المدح بنصوصٍ متداخلة إلى طور الجمود، وبدا أنهم يسعون إلى إظهار القدرة على التلاعب باللغة،

67 - المرس: المُمارَسَةُ وشدة العلاج، والمرِس: بكسر الراء هو الشديد الذي مارس الأمور وجرّبها.

68 - وردت في هذا الموضع من المخطوطتين كلمة (الله)، ويبدو أنّها مقحمة ؛ نتيجةً لما اعتاده الناس في العبارة الشائعة (رحمه الله).

وامتلاك ناصيتي الشعر والنثر معاً، أكثر ممـا يـسعون إلـى الارتقـاء بالمـستوى الفنّي للمدائح.

أمَّا الموضوعات التقليدية الأخرى، فيبدو أنهـا لـم تَحْـظَ باهتمـام الأدبـاء الفاطميين ؛ فلم تصل إلينا من النـصوص المتداخلـة فيهـا إلاّ فـصول محـدودة. منها فصلان في الهجاء، أحدهما للمجيد بن أبـي الـشخباء العـسقلاني كتبـه فـي تحذير أحد معاصريه من تقريـب شـخصٍ سـيّىء الـسمعة[69]. والفـصل الآخـر للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، يهجو به صـديقاً أفـشى سـرّه، وممّـا جـاء فيه[70]:

فكـان فـي إخفـاءِ أسـراري كَمَنْ دَبَّ يستخفي وفي الرِّجْلِ جُلْجُـلُ

وفـي حِفْـظِ ودائـع أخبـاري كما استخزنَ الماءَ المُـرَوَّقَ منهـلُ

لا جَرَمَ أنّـي دافعـتُ بـه الغـرام كما دافـعَ الـدَّيْنَ الغـريمُ المُماطـلُ

وذُدْتُ قلبـي عـن ذلـك المـرام كما ذادَ ظمآنـاً عـن المـاءِ ناهـلُ

فـوزنُ هَـوَاهُ الآنَ فـي عينـي كما طارَ في سـافي الريـاحِ تُـرابُ

وعُـذْرُ غـدرهِ فـي مَـسْمَعي كما طَنَّ في لُـوحِ[71] الهجيـرِ ذُبـابُ

وحاصـلُ حبّـه فـي قلبـي كما لاحَ فـي لَـوْح القِفـارِ سَـرابُ

69 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 648/2.

70 - القاضي الفاضل، ديوانه 518/2-519.

71 - اللوح – بضمّ اللام: الهواء.

وكذلك وصل إلينا نصّان في الغزل، أحدهما للمجيد العسقلاني، وجاء فيه[72]:

لو رآني – فَسَحَ اللهُ مُدّته، وضاعفَ عليَّ مودّته – لرأى صبّاً، قلبُه خفيقُ، ودمعُه طليقُ،

قلقَ الضمير بظبيةٍ وَهْنانةٍ فلها بقلبي هزّةٌ وعُلوقُ

الوجهُ طَلْقٌ، والوشاحُ مُهفهفٌ والردفُ دِعصٌ، والقوام رشيقُ

وتبسّمتْ عن واضحٍ، فضحتْ بهِ سَطْعَ البُروقِ، ونمَّ منه رحيقُ

والنصّ الآخر للمعتمد العسقلاني، يجمع فيه بين الغزل والوصف، إذ يتحدث عن طيف الحبيبة الذي زاره، وقد أضناه السفر مع أصحابه، وجاء فيه[73]:

أمَّا الرّفْقة، فلمّا طالت الشُّقّة، هجروا السيرَ البطيّ، واستوطنوا ظَهْرَ المطيّ، وذللَّها جذْبُ[74] البُرى، وتعاطوا عليها كؤوس السرى، حتّى ثمل الساقي والشارب، ووضعوا الرؤوس على المناكب، وكأنّها لم تُوصلْ بأعناق، وكأنّما غُبقوا بكاسٍ دِهاق. هنالك نَقعتُ غُلّةً وكبدا، ومددتُ إلى الأماني يدا،

قبّلتُ مبتسماً عذباً، إذا احترقتْ أنفاسُ صَبٍّ على تقبيله بَرَدا

يزيده النومُ طيباً، والسقاءُ نقاً ويجمعُ المسكَ والصهباءَ والبَرَدا

سَيْرٌ ونومٌ، ووصلٌ كان بينهما فلن أذمَّ النوى من بَعده أبدا

72 - الحموي، معجم الأدباء 170/9.

73 - الأصفهاني، الخريدة – باب شعراء عسقلان، الجزء العاشر (ق 18 ظ).

74 - الجَذْبُ: المَدُّ، جَذَبَ الشيء يجذِبه جَذْباً وجبذهُ واجتذبه: مَدَّهُ، وحوّله عن موضعه.

وهكذا يأتي الوصف في سياق موضوعٍ آخر – كما رأينا في النصّ السابق، وكما جاء في الفصل الآتي الذي كتبه المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني إلى صديق له مسافر، ووصف فيه طول ليله بعد سفره، وجاء فيه[75]:

فارقني مولاي، وخلّفني حِلْفَ السهاد، مفترشاً شوك القتاد، أتذكّر أخلاقه تذكُّر الفقير غِناه، وابنِ ذَريحٍ لُبْناه. وامتدَّ عليَّ رُواقُ الليلة المذكورة، حتّى كأنّ نجومها شُدّت بأبانٍ، وقمرها يسيرُ في فلك كيوانٍ،

يئستُ من صُبحها حتّى التفتُّ إلى وجهِ الظلامِ، أُعزّيهِ بِفُقْدانِ

في هذه الموضوعات الثلاثة – الهجاء، والغزل، والوصف – ابتعد الأدباء الفاطميون عن التكلّف الذي ورد في المدح، وعمدوا إلى التعبير عن أحاسيسهم الصادقة، من دون نفاقٍ أو تزلُّف، فجاءت نصوصهم مشرقة ذات مستوى فنّي لائق، ولم ينزلقوا في مزالق السطحية أو التفاهة.

الموضوعات الإخوانية

تأتي التهنئة في طليعة الموضوعات الإخوانية التي تناولها الكُتّاب الفاطميون، وقد تنوّعت المناسبات الداعية إلى التهاني؛ مثل قدوم شهر الصيام[76]، وظهور هلال شهر ذي الحجّة[77]، والإبلال من مرض[78]،

75 -العمري، مسالك الأبصار 136/12 (أبان: اسم جبل مشهور في بلاد العرب. كيوان: كوكب زحل)

76 - انظر: الشنتريني، الذخيرة–القسم الرابع 617/2، 621، 622-623، 646 -647 وتهنئة بهلال شهر رجب 643/2-644.

77 -انظر: نفسه 621/2/4.

والانتصار في معركة[79]. فمن ذلك ما كتبه أمير الدولة عبد الله بن أحمد بن خليل في التهنئة بهلال ذي الحجّة[80]:

أَجْزَلَ اللهُ بالحضرة الأثيرية بركات هذا الشهر الشريف، الذي تُقضى فيه المناسك بالبيت العتيق، وتَردُ أيامُ التشريق، ولا زال يُلقي رِحالَهُ، ويُواصل إلْفَها بُكَرَهُ وآصالهُ، في عزٍّ رفيعٍ سماكه، حاكمة بالبقاء أفلاكه، ومجدٍ راسيةٍ جبالُهُ، وسعادةٍ مُقَرْطسةٍ بها نِبالُهُ،

إذا انقبضتْ يوماً حبالُ سعادةٍ غَدَتْ مُحْصداتٍ كيف شاءتْ حبالُهُ

يُضيء – وصرفُ الدهر داجٍ – هلالُه ويُعْرَفُ في قحط السنين انهمالُهُ

وجاهٌ نضيرٌ لا يُخاف ذُبولُه ولا ينطفي بالعاصفاتِ ذُبالُهُ

ويغلب على التهاني، التوسُّطُ بين الطول والقصر، أمَّا التهاني بالانتصار في معركة فتغلب عليها الإطالة ؛ لإتاحة الفرصة للتغنّي بالانتصار. فمن ذلك ما كتبه المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني مهنئاً بأحد الفتوح، وقد استغرق النصّ نحو خمس صفحات، وتكوّن من عدّة فصول، وهذا واحد منها[81]:

كان العبدُ خَدَمَ المجلسَ السامي بخدمةٍ، قَصْدُها التهنئة بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدوّ، الذي أطاع شيطانه، ومدَّ في مضمار الغيّ أشطانه، واتّبع ما أسخط الله وكرِهَ رِضوانه، وجرى الله على جميل عادته في زلزلة أطواده،

78- انظر: نفسه 640/2/4-643، الكلاعي: إحكام صنعة الكلام (ص71).

79 - انظر: الحموي، معجم الأدباء 175/9-184.

80 - الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 621/2.

81 - الحموي، معجم الأدباء 171/9-175.

واستئصال أحزابه وأجناده، الذين غدت الرماحُ تستقي مياه نُحورهم، والسيوفُ تنتهب ودائع صدورهم، والحِمامُ يجول عليهم كلّ مجالِ، ويستدني إليهم نوازح الآجالِ،

ما طال بغيٌ قطٌّ إلاّ غادرتْ فعلاتُه الأعمارَ غيرَ طوالِ

فتحٌ أضاء به الزمانُ، وفتَّحتْ فيه الأَسنّةُ زهرةَ الآمالِ

ومن الموضوعات التي أكثر الكتّاب الفاطميون من كتابة النصوص المتداخلة فيها، موضوع التشوّق، وقد اشتهر بعضهم بالإكثار من هذا الموضوع، مثل المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني[82]، ومثل القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الذي اختار له ابن فضل الله العمري فصولاً عديدة، "يتشوّق فيها إلى إخوانه وأَودائه، ومُحبّيه وأوليائه"[83].

وتتميّز النصوص المكتوبة في هذا الموضوع – فضلاً عن كثرتها – بالرقّة في الشعور، والرّقة في التعبير، والإطالة التي استدعت كتابة نصوص مركّبة من عدة فصول. مثل الفصول الآتية من نصٍّ للقاضي الفاضل[84]:

ومن عجبٍ أنّي أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهم مَنْ أرى وهمُ معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادِها ويشتاقُهُمْ قلبي وهم بَيْنَ أَضْلُعي

82 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/635-636، العمري، مسالك الأبصار 12/136.

83 - العمري، مسالك الأبصار 12/188 وانظر أيضاً 12/188-205.

84 - نفسه 12/199-201 (والبيت الأخير من شعر جرير).

كتبتُ والعبراتُ تمحو السطور، ويُوقِدُ ماؤها نارَ الصدور، وتهتكُ وَجْداً كان تحت الستور وتُرسل من بين أضلعي نَفَسَ الموتور،

قَدْ ذكرنا عهودَكم بَعْدَما طا لَتْ ليالٍ من بعدِها وشهورُ

عجباً للقلوبِ؛ كيف أطاقتْ بُعدكم ؟ ما القلوبُ إلاّ صخورُ

وما وردتُ الماءَ إلاّ وجدتُ له على كبدي وَقْداً لا بَرْدا، ولا تعرّضتُ لنفحات النسيم إلاّ أهدى إليّ جهدا، ولا زارني طيفُ الخيال إلاّ وجَدَني قطعتُ طريقه سُهْدا، ولا خَطَفَ البارقُ الشامي إلا أراه قلبي خُفوقاً ووَقْدا،

وأيْسَرُ ما نالَ منّي الغليـ لُ ألاّ أُحِسَّ من الماءِ بَرْدا

فسقى اللهُ دارَهُ ما شربتْ من الغمام، وأيّامنا بها وبُدورُ ليالي تلك الأيّام تمام،

ذُمّ المنازلَ بَعْدَ منزلةِ اللّوى والعيشَ بعد أولئك الأقوامِ

أمَّا التعزية والمواساة فقد كان نصيبهما قليلاً من النصوص المتداخلة عند الأدباء الفاطميين، وقد غلبت عليهما الإطالة، والمبالغة. فمن ذلك نصّ للمجيد ابن أبي الشخباء العسقلاني، في التعزية بولدٍ مات غريقاً، ومنه قوله[85]:

غيرُ بِدْعٍ من الزمان – أطال الله بقاء حضرة سيدنا – أن تُنكث حبالُه، وتَصْرَدَ نبالُهُ، وتُراشَ في قصد الكرام سهامُه وتُرهف نصالُه، وتفهقَ بالغدر فجاجه، ويمزج بالسمّ أُجاجُه، ويُثار في النفوس عَجاجُه.....

85 - الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/657-659، الشيزري، جمهرة الإسلام – مصوّرة جامعة مؤتة 1/134-135، مخطوطة دار الكتب المصرية (لوحة 68).

ولمّا طرق الفادحُ بمن لا أُسميّه ؛ تفادياً من تحقيق الخبر بمصرعه ؛ وصوناً له من مورد الحِمام ومَشْرعه، رأيتُ المحامد، ذاتَ نورٍ خامد، والمآثر، ذاتَ عِقْدٍ متناثر، والقمر قد سئم هالته، والصبحَ قد خلع عليه الليلُ غِلالته، وشاهدتُ الكتابة مقصورة المدود، والبلاغة مخموشة الخدود، والأدب قد اسودّتْ سحنته، واشتدتْ على الزمن وامتدتْ إحنته ؛ إذ طرقَ بما يتجاوز القدْر، ويوحش الأضالعَ من صُحبة الصدر،

شمس العُلا غَرَبَتْ بحيث ترى أبداً غروبَ الشمس والبدرِ

من برّهِ بكَ أن يُخَطّ له جَنَنٌ بِقُرْبِ عطائك الغَمْرِ

وكأنّما هو دُرّةٌ دُفنتْ في جَنْبِ ما وُلدتْ من البحرِ

وتنزّهتْ عنْ أنْ يصافحَها سَمْكُ الصَّفيحِ وظُلْمةُ القَبْرِ

وللمجيد العسقلاني نصّ مركب من فصلين في المواساة، وقد " استقرّت الوزارة لبعض أصحابه، ثمّ توقّفَ الأمرُ فيها، فكتب إليه يواسيه"[86].

أمّا الموضوعات الإخوانية الأخرى فلم نعثر على نصوص متداخلة فيها إلاّ نادراً ؛ ففي العتاب نصٌّ للمجيد بن أبي الشخباء العسقلاني، ذكرناه في النمط الثالث من أنماط التداخل، وفصلٌ للقاضي الفاضل جاء فيه[87]:

ما عهدته – أدام الله سعادته – إلاّ وقد استراحت عَواذلُه، وعُرِّيَ به أفراسُ الصبا ورواحلهُ، إلاّ أن يكون قد عاد إلى ذلك اللجج، ومَرِضَ قلبُه وما

86 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/632-633.

87 - العمري، مسالك الأبصار 12/195.

على المريض من حرج[88]. وأيّاً ما كان، ففي فؤادي سَريرة شوقٍ لا أُذيعُها، ولا أُضيعُها، ونفسي أسيرةُ غُلّةٍ لا أُطيقها بل أُطيعها،

وإنّي لمشتاقٌ إليك، وعاتبٌ عليكَ، ولكنْ عَتْبةً لا أُذيعها

وفي الاعتذار، عثرنا على ثلاثة نصوص للمجيد العسقلاني، في الاعتذار عن عدم حضور مجلس[89]، وعن عدم وداع بعض إخوانه[90]، وفي الاعتذار إلى وزير بلغه أنه هجاه، وجاء فيه[91]:

لم يجْرِ في ظنٍّ عند الحضرة السامية، أنّ أحداً يلقاها بوجهٍ وقاح، ويتشجّعُ على مقابلتها بكذبٍ صراح.... فإذا راجع نظره الكريم، وعاودَ فكره السليم، عَلِمَ أنّ هناك مُسكةً من تحصيلٍ تمنع عبده أن يعبث بالموت الزُّؤام، ويستدعي نوائب الأيّام، ويشربَ السمّ الزُّعاف، ويخوضَ لُجّة اليمّ الرجّاف،

أخلاقُكَ الغُرُّ النميرةُ ما لها حَملتْ قذى الواشينَ وهي سُلافُ؟!

والإفكُ في مرآةِ رأيك ما لَهُ يخفى؟ وأنتَ الجَوْهرُ الشفّافُ

وفي النصح والإرشاد، وصل إلينا هذا النصّ للمجيد العسقلاني، يحذّر فيه أحد معاصريه من تقريب شخصٍ سيّىء السمعة، وجاء فيه[92]:

88 - يظهر هنا التضمين والاقتباس من الحديث الشريف، وهذا يشكّلُ ظاهرة في تلك المرحلة.

89 - انظر: الأصفهاني، الخريدة – باب شعراء عسقلان، الجزء العاشر (ق 18و - ظ).

90 - انظر: الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/629-630.

91 - الشيزري، جمهرة الإسلام، عن نسخة دار الكتب المصرية (لوحة 248).

92 - الشنتريني، الذخيرة – القسم الرابع 2/648-649.

أُنبئتُ – أطال الله بقاء مولاي – بشيءٍ أنا فيه مُكذّبٌ ومصدّق، ومدافعٌ ومحقّق، واحتجتُ بحكم ذلك إلى مطالعته، وعلم كُنْهِ حالته ؛ عرفتُ أنّ هذا الرافض البغداديّ، قد رفض مَوَدَّته خُلْفاً، وسَلَكَ به من الخلافة عَسْفاً، فوصله وهجر ديوانه، وأرضاه وأسخطَ خِلاّنه، واستبذل فيه مصوناً من قَدْره، واستذلّ عزيزاً من تأتّيه وبرّه ؛ فصار يهبُ النفسَ بلمسةٍ من إهابه، وجميع سَقْي النِّيل برشفةٍ من رُضابه، وينشد إذا تراكضت ْ خيول اللهو واللعب، وغلظ عليه قول اللاحي المؤنّب:

غزالٌ تمتّعتُ في قُربهِ ونازَعَني الكأسَ حتّى غَلَبْ

إذا ما تَنفَّسَ في نومهِ تَنفّسَ عن مثل ما قَدْ شَرِبْ

فوجدتُ – واللهِ – من إشناعة هذه الحال، ما يجده الخائفُ غابَ واقيه، والسليمُ عَدِمَ طبيبه وراقيه ؛ خوفاً على جاه مولاي أن يميل، ويَشْنُعَ فيه القالُ والقيل.

ولعلّنا نلحظ أن هذه الموضوعات الإخوانية أفضل من الموضوعات الشعرية التقليدية، وأقرب إلى نفس المُتَلَقّي؛ لأنّها تتجافى عن التكلُّف، وتتّصل بمشاعر الكُتّاب الحقيقية، وعواطفهم وأحاسيسهم الصادقة؛ ولأنّ الكُتّاب الذين كتبوها تربّوا في الديوان الفاطمي، فأصبح لهم في النثر سبق ومراس وباع طويل، وهذه الموضوعات الإخوانية هي موضوعات نثرية، انتقلت إلى الشعر.

ومن هنا تكامل فيها الشعر والنثر، وتنافسا في الحسن، وتسابقا في رقّة الشعور والتعبير.

الخاتمـــــة

يتميّز الأدب الفاطمي ببروز ظـاهرة النـزوع إلـى المداخلـة بـين الـشعر والنثر، وانتشار هذه الظاهرة بين كثيرٍ من كُتّـاب دواويـن الرسـائل فـي الدولـة الفاطمية. وقد عمد هؤلاء الكُتّاب إلى التنويع في أنماط التداخل وأنساقه.

ولعلّ أهمّ دواعي التداخل بين الرسالة والقـصيدة عنـد الكُتّـاب، يتمثّـل فـي الطموح إلى الإبداع والابتكار والتجديد من خـلال شـكلٍ أدبـيّ طريـف، إذا عـزّ التجديد في المعاني والأفكار، فإنّ هذا الشكل يُعَـدُّ مظهـراً مـن مظـاهر البراعـة والتجديد. يضاف إلى ذلك رغبـة الكُتّـاب فـي إظهـار المقـدرة علـى امـتلاك ناصية اللغة والتمكّن من تطويـع ألفاظهـا للـشعر والنثـر. وربّمـا دعـاهم إلـى المداخلة بين الرسالة والقصيدة – فـي بعـض الأحيـان، وخاصّـة فـي المـدح – عدم وجود فرصة للإنشاد في مجلس الممـدوح، أو وجـود جفـوة بـين الممـدوح والكاتب، فعند ذلك يعمد الكاتب إلـى إرسـال رسـالة يمـدح فيهـا ممدوحـه، أو يعتذر إليه ويتنـصّل مـن الـذنب نثـراً وشـعراً، وكـذلك كـان يفعـل الكتّـاب الفاطميون في ما يكتبونه إلى أصدقائهم وزملائهم في ديوان الإنشاء.

وقد ظلّت هذه الظـاهرةُ بـارزةً فـي أدب الكُتّـاب الفـاطميين، ثـمّ خفتـتْ بعدهم، على الرغم من استمرارها بشكل غيـر ملفـت فـي العـصرين المملـوكي والعثماني[93]. ولعلّ أهم أسباب خفوتها ما يأتي:

- أنّ هذا الشكل الأدبي الذي تتداخل فيـه الرسـالة والقـصيدة، لـم يـستطع أن ينوب عن الرسالة إلاّ في بعض الحـالات الخاصّـة، ولـم ينـب عـن

93 - من أمثلة ذلك تقريظ خليل بن أيبك الصفدي لـــــ (لامية العجم) للطغرائي.

القصيدة لدى الجمهور الذي اعتاد الإنشاد، وهذا الشكل وُضِعَ ليُقرأ، لا لكي يلقى في المجالس.

- أن الكُتّاب الفاطميين لم يطرقوا في هذا الشكل الأدبي موضوعات جديدة لم تطرقها القصيدة، ولم يرتادوا ميادين جديدة لم تطرقها الرسالة، بل زاحموا بهذا الشكل كلاً من الرسالة والقصيدة على الميدان المخصّص لكلٍّ منهما.

- أن النصوص المكتوبة بهذا الشكل قد تسرّب إلى بعضها التكلّف؛ مثل بناء النصّ كلّه على حروف غير معجمة والتعلّق بالمحسنات البديعية.

- دخل التكرار إلى النصوص المكتوبة بهذا الشكل، وخاصة في الجمل الدعائية والتحاميد والعبارات الاستهلالية.

- أن النصوص المكتوبة بهذا الشكل، بينها تشابه، يجعلها مثل المعارضات بين القصائد، فيشترك النص اللاحق والنصّ السابق في الوزن والقافية والقرينة والغرض.

ولعلّ أوضح الأمثلة على ذلك، هذا النص للمجيد العسقلاني[94]:

خلّد الله أيّام الحضرة الأفضلية، ما فَضَلَت الأسماءُ حُروفا، وتقدَّمتْ واو العطفِ معطوفا، ولزمت الأفعال اشتقاقاً وتصريفا،

يُلْفى عليها الحمدُ موقوفاً وفي عَرَصاتها شُمُّ الملوك وُقوفا

وتُعيد سطوتُها سماءَ عُداتها كِسَفاً وبَدْرَ سعودهم مكسوفا

94 - الكلاعي، إحكام صنعة الكلام (ص 71).

وقد عارضه القاضي الفاضل بهذا النص الذي التزم فيه بالموضوع نفسه، وتقمّص الشكل تقمُّصاً تامّاً[95]:

إلى الله يرغب أن يجعله بالسلامة مكنوفاً، وصرف الحدثانِ عن ساحته مكفوفا، ووُفود الرجاء على أرجائه عُكوفا، وأن يُمتع الوجود بوصفه الذي هو أشرفُ من كلّ وحيدٍ موصوفا،

مَنْ كان يُشْرِكُ في عُلاكَ فإنّني وجّهتُ وجهي نحوهنّ حنيفا

هكذا طُويتْ صفحات من التجارب الفنّية، أردنا في هذا البحث أن نقدّمها لأبناء هذا العصر الذي كثرت فيه التجارب، آملين أن يكون البحث حافزاً للدارسين على المزيد من البحوث في العصر الفاطمي الذي مازال في حاجة إلى مزيدٍ من الدراسات والبحوث.

95 - العمري، مسالك الأبصار 12/198-199.

المصادر والمراجع

1. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط1، 1972م.
2. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276 هـ)، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ط4، 1980م.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن المكرم (ت711 هـ)، لسان العرب، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.
4. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356 هـ): الأغاني، بيروت، دار الكتب العلمية 1963م.
5. الأصفهاني، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (597 هـ): خريدة القصر وجريدة العصر (باب في محاسن جماعة من أهل عسقلان) مخطوط مصوّر بدار الكتب المصرية (رقم 4255/ أدب) الجزء العاشر (ق 18 ظ).
6. البديعي، الشيخ يوسف الدمشقي (ت 1074هـ، أو في التي قبلها): الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقّا وعبده زيادة ومحمد شتا، مصر، دار المعارف 1964م.
7. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون – القاهرة، دار الكتاب العربي، د. ت.
8. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ):

   أ- يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، دمشق،مطبعة الحنفي.

   ب- لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1960م.
9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة،مكتبة الخانجي.

10. الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت 453 هـــ): زهــر الآداب وثمــر الألباب، نشره زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الطبعة 4.
11. الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسّام (ت 542هــ): الذخيرة في محاسن أهــل الجزيرة، تحقيق: الدكتور إحــسان عبّــاس ،ليبيــا وتــونس، الــدار العربيــة للكتاب1981م، (القسم الرابع، المجلّد الثاني).
12. الشيزري، مسلم بن محمود بن نعمة (ت 622): جمهــرة الإســلام ذات النثــر والنظام، مصورة دار الكتب المصرية، رقم 9223 / أدب (لوحة 2)، مصورة جامعة مؤتة.
13. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هــ): التذكرة الصفدية، القــاهرة، مخطوطة دار الكتب المصرية، رقم 420/أدب (30/14ظ-31و).
14. الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب (ت 542 هـــ): الأفــضليات، تحقيــق: الدكتور وليد قصّاب والدكتور عبد العزيز المانع، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1403هــ/1982م.
15. العسقلاني، أحمد بن حجر (852 هــ)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنــة، تحقيق محمد سيد جاد الحق،مصر، دار الكتب الحديثة.
16. العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 749 هــ): مسالك الأبصـــار في ممالك الأمصار (كُتّاب الإنشا شرقاً)، تحقيق: إبراهيم صالح، أبــو ظبــي، المجمع الثقافي، 2002م.
17. القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني، ت596 هـــ) الــديوان، حققــه الدكتور أحمد أحمد بدوي، مصر، منشورات وزارة الثقافة والإرشــاد القــومي، القاهرة – دار المعرفة ومطبعة دار الكتاب العربي، القــاهرة، الطبعــة الأولــى 1961م.

18. الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور (ت 545-550هـ): إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، عالم الكتب، الطبعة 2، 1985م.
19. المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (384 هـ)، معجم الشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1983م.
20. الهمذاني، بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين (ت 398هـ): كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، شرح: إبراهيم بن الأحدب الطرابلسي، بيروت، دار التراث.
21. الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز (ت 575 هـ): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، القاهرة،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968م.
22. اليافي، عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ط1،1962 م.
23. باشا، عمر موسى، أدب الدول المتتابعة، دمشق، دار الفكر الحديث، ط1، 1967م.
24. بيومي، السباعي، تاريخ الأدب العربي بمصر والشام على عهد الفاطميين والأيوبيين، القاهرة، مطبعة مصر، 1946م.
25. حسن، إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1932م.
26. حسين، محمد كامل، في أدب مصر الفاطمية، دمشق، دار الفكر العربي، 1981م.
27. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة الحياة.
28. عبد النور، جيور، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1979م.
29. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626)، معجم الأدباء، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، 1938م.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2009/10/15.